نظريات تعلم اللغة الثانية
و كيفية الإفادة منها لتقويم و تطوير تعليم العربية كلغة ثانية

الدكتور ميسر أحمد المكي

باحث أكاديمي متخصص بتعليم العربية ـ الجمهورية العربية السورية ـ دمشق

المقدمة

من المعلوم للدارسين والمختصين في تعليم اللغة العربية لغير العرب في وقتنا الحاضر أن هناك العديد من المشكلات والصعوبات في هذا المجال ولعل من أهمها هو النقص في الإفادة من الاتجاهات الحديثة في بناء المناهج .

وأود أن أؤكد أنه في مثل هذه المؤتمرات التي تستقدم التربويين والمتخصصين خطوة رائدة على طريق التطوير والتحديث والتي اتجهت إليها بعض الدول في الآونة الأخيرة و ذلك لشعورها بالحاجة الماسة للّغة العربية ولأهميتها الدولية المتزايدة على كافة المستويات .

أولاً : لمحة عن نظريات التعلم العامة وأقسامها الرئيسية والجوانب العامة فيها

أـ مفهوم نظريات التعلم : هي عبارة عن محاولات يقوم بها العلماء المختصون لدراسة ظاهرة التعلم التي تُعد من أهم ظواهر حياتنا، إذ يقوم هؤلاء بتنظيم ما يتوصلون إليه من

آراء حول حقائق التعلم وتبسيطها و شرحها والتنبؤ بها. و ظهرت نظريات التعلم منذ بداية القرن الماضي ويبحث كل منها جانباً أو أكثر من جوانب التعلم، وما يعنينا منها هو البحث عن نظرية لاكتساب اللغة الثانية.

ب ـ أقسام نظريات التعلم الرئيسية : مما لا شك فيه أن المجال المعرفي في السلوك الإنساني هو أهم مفاتيح الاكتساب في اللغتين الأولىٰ والثانية علىٰ السواء. ونبين فيما يلي الطبيعة العامة للتعلم البشري كما تحددها أربع نظريات مختلفة للتعلم، وكل منها يتصل بتعلم اللغة الثانية، وهي :

أولاً ـ النظريات السلوكية : وأطلق عليها هذا الاسم لاعتمادها علىٰ المثيرات واستجاباتها والارتباط فيما بينها، ويندرج تحتها قسمين : (النظريات الارتباطية، والنظريات الوظيفية).

ثانياً ـ النظريات الارتباطية: تقوم علىٰ الارتباط بين الأحداث البيئية والسلوك وهي متفرعة من النظريات السلوكية.

ثالثاً ـ النظريات الوظيفية : وهي وثيقة الصلة بالنظريات الارتباطية، وتؤكد علىٰ الوظائف التي يُؤديها السلوك، وهي متفرعة من النظريات السلوكية.

رابعاً ـ النظريات المعرفية : تعطي الأولوية للعمليات التي تجري داخل الإنسان كالتفكير والتخطيط واتخاذ القرار وحل المشاكل .. على تلك العمليات التي تتصل بالبيئة الخارجية أو بالاستجابات الظاهرة.

ج ـ الجوانب العامة في تقسيم تعلم اللغة: وسنقتصر في بحثنا علىٰ العلاقة بين نظريات التعلم المختلفة وبين تعلم اللغة وعلىٰ الجوانب العامة في تعليم اللغة، وتُقسم نظريات التعلم حسب علاقتها بتعلم اللغة لاتجاهين رئيسين : الاتجاه السلوكي، والاتجاه المعرفي، ولقد تأثر تعلم اللغة وخاصة اللغة الثانية بهذا التقسيم، وظهرت طرائق للتدريس نتيجة له .

١ ـ النظرية السلوكية وتعلم اللغة : لا يملك أصحابها نظرية خاصة بتعلم اللغة، بل مجرد تطبيقات للنظريات في هذا المجال، وأكدوا على العوامل الآنية والمباشرة. و رأوا أن لا بد

من ممارسة إعطاء الاستجابات و أن تكون الاستجابة نشطة ومنتجة، لا مجرد استجابة فهم أو استماع، واللغة هي الكلام في المقام الأول. والحقيقة الكبرى في تعلم اللغات تكمن في تكوين العادات وأداتها.

٢ـ النظرية المعرفية و تعلم اللغة: ونجد أن وجهة نظرهم تنحصر في أن الإنسان يتعلم اللغة بما يمتلك من قدرة فطرية تسمح له بتعلمها. واللغة شكل من أشكال السلوك المعقد لا يفسر اعتماداً على المؤثرات الخارجية. واللغة التي يتعلمها الطفل تستثير آلية داخلية اسمها:«**جهاز اكتساب اللغة**». والأخطاء اللغوية التي يرتكبها الأطفال أثناء تعلم اللغة ليست أخطاء. والأطفال يتعلمون اللغة بمجرد استماعهم لها. و جعلوا للفهم الأهمية البالغة.

ثانياً ـ نظريات تعلم اللغة الثانية

أ ـ أهمية نظريات تعلم اللغة الثانية : إن التعرّف إلى نظريات تعلم اللغة الثانية يُعطينا فهماً متكاملاً لأسس تعلم اللغة وتعليمها، و تدعونا هذه التنوعات الهائلة من النظريات لا لاختيار عشوائي متعجل، بل لاختيار طريقة مستنيرة، فإننا عندما نبني نظرية، نبني فهماً لأسس تعلم اللغة وتعليمها وعلى هذا الأساس تُبنى المواد التعليمية لتعليم اللغة الثانية وطرائق تدريسها وتدريباتها واختباراتها.

ب ـ أهم نظريات تعلم اللغة الثانية: نظريات تعلم اللغة الثانية هي في الأساس نظريات التعلم العامة ونظريات تعلم اللغة الأصيلة، و تعلم اللغة الثانية شكل من أشكال التعلم، وينطبق عليه ما قيل عن النظريات السلوكية والنظريات المعرفية. ومما لا شك فيه أن اكتساب اللغة الثانية عملية بالغة التعقيد، وما زال الاهتمام واسعاً بهذا النوع من التعلم على المستويين النظري والتطبيقي. وفسّر المختصون هذا التعلم بتفسيرات متعددة على شكل فرضيات ونظريات، وسنعرض لمحة موجزة عن أهم هذه النظريات .

١ـ نظرية التطابق (Identity Hypothesis): رأى أصحابها أن اكتساب اللغة الأم و تعلم اللغة الثانية هما عمليتان متطابقتان أساساً. و تنبع أهميتها في أنها تركز على إمكانية

النظر في الأساسيات (الاستراتيجيات) المتشابهة التي تستخدم في تعلم اللغة الأم واللغة الثانية.

٢ـ نظرية التباين :هي نقيض لنظرية التطابق، قال أصحابها: إن اكتساب لغة ثانية يتحدد بواسطة الأنماط الصوتية واللغوية الخاصة باكتساب اللغة الأولىٰ . قالوا بـ(النقل الإيجابي) **Positivet transfer** و بالنقل السلبي **Negative transfer** أو التداخل بين اللغتين **Interterence** فهي تطلق على التراكيب والصيغ اللغوية المختلفة. و رأى المختصون فيما بعد خطأ هذه النظرية.

٣ـ نظرية تحليل الأخطاء **Error AnaIysis Hypothesis**: قامت علىٰ عوامل عدة، هي:

- التعرف إلى الأخطاء الحقيقة.
- تمييز الأخطاء الناتجة عن السهو أو عدم الاكتراث الكافي عند استخدام اللغة .
- وصف الأخطاء وتصنيفها.
- تحديد أسباب الأخطاء.

٤ـ نظرية الجهاز الضابط **Monitor Theory** : صاحبها (كراشن) اعتمد فيها علىٰ العلاقة بين التعلّم التلقائي(**Spontaneous Learning**)، والتعلّم الموجه (**Guided Learning**) التعلّم واستخرج من هذه النظرية طريقتين لتعلم اللغة الثانية وهما : ١ـ اكتساب اللغة لا شعورياً. ٢ـ تعلم اللغة إرادياً.

٥ـ نظرية اللغة المرحلية **Inter Language Theory**: اتجهت الأنظار في أواخر الستينات لتعلم اللغة الثانية، و ظهر مصطلح (اللغة المرحلية) وهي نظرية تشير إلى نظام منفصل يبتكره الدارس من حيث وقوعه في مرحلة وسط بين اللغة الأم واللغة الهدف و

يقوم علىٰ اجتهاد في وضع نظام وبنية للمثيرات اللغوية التي تحيط به، وفتحت مرحلة جديدة في بحث اللغة الثانية وتعليمها في أوائل السبعينات .

٦ـ نظرية القدرة الاتصالية : تشمل مفهوم القدرة الاتصالية وهي العنصر الذي نستطيع به أن ننقل الرسائل ونفسرها ونتفاوض مع الآخرين في سياقات محددة، و لا يمكن اختبارها إلا عند تحققها علانية بين شخصين في حالة الخطاب. و عُرفت أيضاً حسب ما تشتمل من مُكونات أربع :

- القدرة النحوية. (يتعلق بالنظام اللغوي)
- قدرة الخطاب. (يتعلق بالنظام اللغوي)
- القدرة اللغوية الاجتماعية. (يتعلق بالجوانب الوظيفية الاتصالية)
- القدرة الاستراتيجية (يتعلق بالجوانب الوظيفية الاتصالية)

ثالثاً : نظريات علم اللغة ـ التحليل اللغوي المقارن

لابد لنا لبناء منهج لتعلم اللغة الثانية من التعرف علىٰ الجانب اللغوي المحض، وبيان أثر هذه العملية علىٰ تعلم اللغة الثانية علىٰ الأخص. فبواسطة هذا الجانب نتوصل إلىٰ رؤية مؤثرات العوامل اللغوية على هذه العملية سلباً أو إيجاباً، ثم للتأكيد علىٰ أهمية هذه المؤثرات، ولرسم إطار جديد ومنهجية جديدة.

أ ـ التحليل اللغوي المقارن (Contrastive AnaIysis) اعتنت النظرية علىٰ أبنية اللغة وأنظمتها الرئيسية الثلاثة وهي : النظام الصوتي، والصرفي، و النحوي. دون التعرض إلى النظام الدلالي (أو نظام المعاني). وأطلق على المقارنة هذه (التحليل اللغوي المقارن).

ب ـ تحليل الأخطاء : بدأ علماء اللغة الاستقصاء عن الأسباب الحقيقية لأخطاء الدارس. فرأوا أنها ناجمة عن اللغة ذاتها. وركزوا على الأخطاء الشاذة، وحللوا الأخطاء إلىٰ (لغوية وغير لغوية).

ج ـ مصادر الخطأ : قام علماء اللغة من المختصين بإجراء البحوث علىٰ أخطاء دارسي اللغة

الثانية و ذلك عن طريق تحليل لغة الدارس. ووجدوا مصادر الخطأ في :

١ـ النقل عن لغة أخرى ؛

٢ـ النقل داخل اللغة الواحدة؛

٣ـ بيئة التعلم ؛

٤ـ قواعد (استراتيجيات) الاتصال.

رابعاً : نظريات التعلم الاجتماعي الثقافي

إن ما يعنينا من نظريات التعلم الاجتماعي الثقافي في اللغة وأثره في تعلمها أو أكتسابها في منهج تعليم اللغات؛ هو النظر في تأثير هذا الجانب وانعكاسه على منهجية التعليم، وكيف يمكن لنا اقتراح طريقة مناسبة في حال تم التأكيد علىٰ هذا الجانب .

■ **علاقة الثقافة واللغة** : إن الثقافة تزود كل شخص بإطار من السلوك المعرفي والوجداني، فهي تمثل مجموعة من أنماط السلوك والإدراك ولها أهمية جوهرية في تعلم اللغة الثانية.

■ **علاقة اللغة والفكر**: إن الفكر واللغة هما أهم عنصرين من عناصر الثقافة الإنسانية، وإن كلاً منهما مرتبط بالآخر ارتباطاً وثيقاً، بحيث يُؤثر كل منهما في الآخر و يتأثر به تأثراً كبيراً.

■ **أوجه الاختلاف بين العناصر المكونة لملكة التواصل في المجتمعات أو الثقافات المختلفة** :

إن أفضل الطرق لفهم تلك الصلة التي تحكم التواصل في أي مجتمع تكمن بالنظر في أهم العناصر اللغوية أو غير اللغوية التي تحكم هذا التواصل مع الإشارة بشكل سريع إلىٰ بعض الاختلافات بين مجتمع وآخر، وتتألف ملكة التواصل من مجموعتين من العناصر الحامل للمعنىٰ، هما:

* **أنماط الترميز** : وتشمل عناصر اللغوية وما يُرافقها من العناصر الحركية والمكانية.

* **أنماط التأطير**:

* **مفاهيم ثقافية واجتماعية مهمة في تعلم اللغة الثانية**:

١ـ الانطباعات الذهنية عن الثقافة .

٢ـ الاتجاهات .

٣ـ التطبيع الثقافي.

٤ـ الصدمة الثقافية .

٥ ـ التفاوت الاجتماعي.

خامساً: علم اللغة التطبيقي والتحليل التقابلي

يُعد علم اللغة التطبيقي فرعاً من علم اللغة، لأنه يهدف إلىٰ وضع النظريات اللغوية موضع التطبيق في بعض المجالات العملية، ومن هذه المجالات تعلم اللغة الثانية. وأكَّد (كوردر) أن عالم اللغة التطبيقي لا يضع النظريات بل يستهلكها ويستخدمها. و علم اللغة اليوم يتجه اتجاهاً حثيثاً إلى المجالات العملية.

فرضية التحليل التقابلي: كانت في منتصف القرن الماضي أحد أبرز الدلائل على علم اللغة التطبيقي، وامتازت بربط النظرية مع التطبيق، واستمدت جذورها من النظريتين السلوكية والبنائية، و قالت أن الذي يحول دون اكتساب اللغة الثانية هو تدخل أنظمة اللغة الأولىٰ مع أنظمة اللغة الثانية، وبفحص بنائي علمي صُنفت فيه التقابلات اللغوية بين اللغتين تمكنوا من التنبؤ بالمشكلات التي قد تواجه المتعلم لأي اللغتين .

سادساً : نظريات تعلم اللغة الثانية وارتباطها بطرائق تعليم اللغة الثانية

من المعلوم أن نظريات تعلم اللغة الثانية كانت هي الأساس للمادة العلمية التي صممت عليه المادة التعليمية للغة المراد تعلمها ومنها استنبطت طرق تدريسها ثم وُضعت تدريباتها واختباراتها، ومنها :

- طريقة القواعد والترجمة (Grammar - translation Method).
- و طريقة القراءة (Reading Method).

سابعاً: مفهوم التقويم وأبعاده و ضرورة عملية المتابعة والتقويم لتطوير التعليم

أ ـ مفهوم التقويم وأبعاده :

١ـ مفهوم التقويم (EvaIuation) التقويم هو عملية استخدام البيانات التي يوفرها القياس بهدف إصدار أحكام أو قرارات تتعلق بالسبل المختلفة للعمل التربوي، أو بالتحقق من مدى الاتفاق بين الأداء والأهداف أو بتحديد مرغوبية وضع مشكلة ما.

٢ـ أبعاد التقويم : موضوع تقويم تعليم اللغة الثانية موضوع معقَّد ومتداخل، وهناك عدة أبعاد له :

- تقويم الاستعداد لتعلم اللغة الثانية .
- تقويم التقدم في تعلّم اللغة الثانية.
- تقويم تحصيل اللغة الثانية.
- تقويم الكفاءة في تعلم اللغة الثانية.

ب ـ ضرورة عملية المتابعة والتقويم لتطوير المنهج :

تختلف الممارسات التقويمية في التربية الحديثة عن الأساليب التقليدية، في أن الأولىٰ تُطوّر وتُنجز علىٰ أسس تربوية هادفة ذات ارتباط وثيق بكل ما يتصل بالتعليم والتعليم، أما أساليب التقويم التقليدية فهي اجتهادية تقوم على دور العامل الشخصي وينقصها التخطيط المسبق، وتفتقر لتحليل النتائج والإفادة منها.

ولما كانت العملية التعليمية عملية هادفة ذات بداية ونهاية، فلابد لنجاحها أن تسير حسب خطة ومراحل وأهداف موضوعة، فالأهداف تساعد المعلم على تصميم وبناء المادة والأنشطة و طرق التدريس ووسائل التقويم. وما من شك أن عملية المتابعة والتقويم أمران ضروريان لتطوير المنهج التعليمي.

١ـ الجهاز المتابع والمقوّم : المقصود بالمتابعة قياس ما نصل إليه في أي عمل من الأعمال و ذلك علىٰ ضوء الهدف المحدد، وبواسطتها نتجنب الانحراف والخطأ، و عن طريقها نتقدم ونتطور. ولا بد لنجاح العملية التعليمية من خطة متكاملة، تحدد فيها الأهداف، وتُرسم

خطوات تنفيذها، وعلى المتابعين معرفة الأهداف بدقة والاطلاع على الخطط المرسومة والاتفاق والاقتناع بما خططه المختصون التربويون لضمان حسن التنفيذ و سيره على الخطة الموضوعة، ولتكون المسؤولية مشتركة بين الجميع .

٢ـ مسئوليات الأجهزة التعليمية للمتابعة والتقويم : لما كانت المتابعة تتبع المشروعات والخطط التعليمية والفلسفات والعمليات التربوية وتقويمها، للتعرف على مدى سيرها في تنفيذ الخطة والهدف الموضوع لها، ومدى تحقيق الفلسفات للأهداف الموضوعة، من هذا المفهوم للمتابعة ممكن أن تُحدد مسئوليات الجهاز المتابع .

٣ـ تنظيم الجهاز المتابع : إن وظيفة الجهاز المتابع هي التتبع والتقويم، والكشف عن الصعوبات ونواحي القوة والضعف، واقتراح الحلول للتغلب على كل ما يعترض التنفيذ، فمن مسؤولياته التوجيه والإرشاد والاتصال المباشر بالإدارات التعليمية لمتابعة التنفيذ والتطبيق العملي، وليكون على علم بمستوى كفاية القائمين بالعمل ومقدار ما يبذلونه من جهد، ولتنسيق جهد جهاز المتابعة مع كافة أجهزة التربية والتعليم وعلى كل المستويات ولتحديد العلاقات وضمان تكامل التخطيط والتوجيه والتنفيذ.

ثامناً :المعلم وأهمية إعداده وتطويره على كافة المستويات

أ ـ إعداد معلم اللغة العربية كلغة ثانية وأهمية دوره في العملية التعليمية :

من الضروري لنا في إعداد معلم اللغة العربية كلغة ثانية أن نبني نظرية متكاملة لتعليم اللغة العربية كلغة ثانية، وجعل القضية الأساسية لنا بناء أفضل معلم قادر على ابتكار طرائق ووسائل تنبع في مجملها من معرفة شاملة بعملية تعلم اللغة، ولا يمكن للمعلم الوصول للمهارة المطلوبة إلا بفهم متكامل للأسس النظرية في تعلم اللغات وتعليمها، فالنظرية هي التي تحدد للمعلم المدخل التعليمي، والمُدخل هو مواجه المعلم نحو اختيار طريقة التعليم وما يليها من إجراءات. ويكون الإعداد على مستويين :

أولهما: الاستيعاب الدقيق لأسس تعلم اللغة العربية كلغة ثانية مع صياغة فرضيات محددة عن تعلم اللغة في سياقات معينة.

ثانيهما : الدعم العملي لهذه النظريات و ذلك بواسطة القياس الدقيق لقدرة المتعلم في

اللغة، أي وضع تلك النظريات موضع التنفيذ في قاعة الدرس. ولنجاح معلم العربية كلغة ثانية، عليه :

*الضلوع في علوم اللغة العربية وثقافتها، وتمكنه من المهارات اللغوية الأربع .

* دراسة النظرية اللغوية العامة و ذلك بدراسة علم اللغة العام (نظرية اللغة والوصف اللغوي) و كذلك دراسة علم النفس التربوي بالإضافة لدراسة علم الاجتماع اللغوي والنظريات المتعلقة بذلك.

*دراسة علم اللغة التربوي أو ما يسمى بعلم اللغة التطبيقي(ويشمل تعليم اللغة واختيار الكتب والمواد التعليمية الأخرى والمناهج والطرق والمقابلات اللغوية) أو ما يسمى علم اللغة التقابلي.

ب ـ أهمية البرنامج التدريبي لمعلم اللغة الثانية في رفع مستواه الثقافي اللغوي:

لقد بات من الضروري اليوم للجهات المعنية بإعداد وتدريب معلم اللغة الثانية أن تضع المناهج والأهداف وترسم الخطط التربوية، وترصد كافة الإمكانات المتاحة لرفع مستواه الثقافي واللغوي، ولابد من مراعاة إعداده ثقافياً و علمياً ومهنياً وتكنولوجياً. ووسائل تدريبه كثيرة ومختلفة، منها:

١. التدريب عن طريق الدورات : وهي دورات جامعية أو دراسات عليا (أكاديمية) .

٢.البرامج الجامعية : تندرج تحتها البرامج العادية التي تؤدي إلى شهادات جامعية أو عليا.

٣. الدرات القصيرة: لا تؤدي إلى شهادات معروفة، ويغلب عليها التطبيقي أو العملي.

٤.التدريب المستمر : ونعني به هنا معنىً أكثر شمولاً وهو تحسين مستوى أداء المعلم، ووسائله مختلفة.

الخاتمة

لقد وجدنا في بحثنا هذا كم لنظريات تعلم اللغة الثانية من أهمية كبرى في العملية التعليمية، و كم لضلوع معلم اللغة العربية فيها من تحسين لهذه العملية والوصول بها إلى مستويات أفضل من حيث مردودها، و كم صار من الضروري لهذا المعلم أن يتزود من

علم اللغة بشكل عام و علم اللغة الثانية بشكل خاص، و يستوعب الأسس النظرية الضرورية لتتكون لديه المعارف اللازمة عن تعلم اللغة وأسبابها وكيفيته وعوائقه، و ليتمكن من كيفية استنباط الطرائق التعليمية المناسبة لها و القيام بالإجراءات اللازمة لذلك وباجتماع هذا الكم المعرفي مع الخبرة التعليمية والمهارات للمعلم مع الاطلاع المستمر على كل جديد في نظريات تعلم اللغة للإفادة منها، ستزدهر مصادر الإبداع، وسيثمر التعليم وسيُؤتي أكله بمشية اللّه تعالىٰ. إننا اليوم بحاجة ماسة للارتقاء بالتقويم على كافة المستويات وبشكل إحصائي علمي مدروس ، وبتقنية حديثة و برامج إحصائية، ولا يمكن للعملية التعليمية أن ترقى لأهدافها بدون المعلم المعدِّ إعداداً ثقافياً و علمياً ومهنياً وتكنولوجياً. وأخيراً أتوجه بفائق الاحترام والمحبة والتقدير لإيران رئيساً و حكومة وشعباً وبالشكر العميم لحسن الضيافة والتكريم التي حظينا بها من القائمين على هذا المؤتمر رئيساً وإداريين و مشرفين و تقبلوا مني تقديري وإعجابي لكل العاملين علىٰ إنجاحه والوصول إلى المطلوب فيه.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

- و الطريقة المباشرة (Direct Method)
- و الطريقة السمعية الشفوية أو الطريقة السمعية اللغوية (Aural-oral Method)
- و الطريقة الفكرية (Congnitive Method)

أطار شامل لنظرية تعليم اللغات الأجنبية